مدى آدم

بقلم بتول قاسم علي

المقدمة

لا تزال القلوب لا تكتم احاسيسها حتى وان كانت مبطنة تحت حياجب الكتمان ,حتى اليوم تلك الوقائع الهائلة التي وقعت على عاتق قلوبنا بين اهوائنا واعدائنا ورواد قلوبنا وأسياد ظروفنا كانت لازالت تتوج الحاضر بالغائب حتى تعلن الانتصار على الحرب الفعلية النفسية التي ارتدمتها ,ادم وهل يخفى العقب على آوانة القدر المخفي المستخلق عاقبا بصورة معجلة مكررة ,فآدم بدون حواء بلا احتواء وهي بدونه بلا مكر.

هذه الرواية تنقل صورة مجسدة بقصة وبعض امهال وانهلال من دواعي الكتمان اللامنطبق اللامتدارك على مستويات عدة ,مستويات التقدم ومستويات التعلثم النفسي الذي لازم ادم 18 عاما من المضي قدما بدون تردد.

والتباس حواء قشريات متعددة ومتنوعة تحت اسماء سيلاحظها القارئ في النص ,كل اسم كانت وراءه مقاصد لا يلاحظها الا منصتي دواعي المقاصد ولا يهتم لفوارقها الا ذوي القصص المتشابهة. الا ان مغزى هذه الرواية ورسائلها كثيرة أولها .التمرد على رجال الدين والسياسة و الاحزاب

التمرد المطلق اللامتجازى على كينونة الكون بتأثيراته السلبية كوجود قراصنة للوجود كقراصنة الدين والمعتقد والانسانية والازدواجية الحرة بين البشر الامتعلقة بالماديات الثائرة على نحو معنوي .

كابوس حب خير اللهم اجعله خير..

-هل التقينا سابقا؟

-التقينا على وفق ضجيج القانتين على مساجد اكفة الحب والحرب.

-وهل كنت قانتاً على وفقي؟

-لم امتلك من الدعاء بهتة بطلب الوصول اليك ،بل طلبت خلثة اطباعي لنقلها من جوهري الى جوهر محيطك، ليعم السلام الكامل ..سلام قلبي وسلام كفينا.

-انك تعلم ان القلب مازال يلهج باسمك مهما استطعت من اكتمال عقلانيتي..

-عقلانية المجازفة ام عقلانية التوحش على ضريح قلب شيعه صاحبه ليلة امس بين الذاكرة.

-وهل الوحش وفاعله اصبح مكنون بي؟ .وانا فراشتك وجوهر روحك واضطرام آهك على جفون قلبك؟.

-كل من لا يكن لي

ولكنك على هامش حبنا ،كان هناك أناس زلزلوا سلام حبنا، واخفقوا على مسامعنا، "لن تركبوا السفن سويّة في بحر حياتكم" ،فالرجل ليس ببحار مجازف على عمق سجية حبه.

وهذا كان رأيهم، وانا ابنتهم، دمهم من دمي ولحمهم من لحمي ،وقلبي من قلبهم، وقسوتي من قسوتهم.

"عم السكوت خلسة دقائق معدودة."

-لكنني انا ابن الطبيعة، تلعثمت بشدائد أوقعتني على عاتق كان منجى وكان داهية لي ايضا.

أوهل من احتملته الطبيعة واحتملها وكانت مسقط رأسه، وأم شبابه، أليس بقادر على المجازفة ببحر المشقة لتنعمين ،فأنعم أنا؟.

-آدم أنا لازلت أحبك، ولكن انت تعرفنا..

-تقصدين اعرف حواء!

-نعم، وأنت العالم بضعفها ،بمكرها ،بحبها، بتبعيتها.

-كل شيء أتقنه انشغال قلبها بي..

-هي لديها أيضا قلب وليس لدرجة من القسوة التي تصدمك ليلة بعد ليلة.

-نعم ،اوافقك ،هي لديها قلب من ذهب، تجري فيه انهرا من المال ،لا الدم، فينتصر حب على حب داخل قلبك ،فتصبحين بالوعي اللا ارادي لا تحبين آدم وتعترفين بطمع حواء، وقمعية حواء.

-أتسألينني ما هو القدر؟.

"هو خط هيمن على الارادة فجعل منا لا ارادیین بمحور حیاتنا ،خالعي البسة القناعة، مرتدین الزي الرسمي للمجازفة.."

-كل كان هذا الزي قميصا و بنطالاً ؟.

-لا كنت لا املك غيرهم بهتة، ولكن زيي الرسمي هو استمراريتي بالاستنفار، بالتغيير، بمقاومة الأحزان لصنع واقع أفضل..

الملابس لا تغني ولا تشبع من أفكار، من مناهج، من ثورة انسان بعواطفه..

الذي يغني فقط هو التعجرف، والذي يشبع هو الجوع عند دوام المبادئ ،حتى لو وجب علينا التهامها، لا نلتهمها، لأنها اشبعتنا حكماً لا صحة وقيمة غذائية ركيكة ستزول ببضع ساعات.

-ولكنني دنيوية.!!

-اذا انا قيامتك.

-لكنني لا اصلي ولا اقوم بسائر الواجبات الدينية.!

-لهذا الامر انا قيامتك ، فأما ان نصلي حبا بمحراب الحياة ،واما سأتقلب بين خيارين، خيار الحساب او نكرانه.

-لكنك سوف تعاقب كما عوقب من قبلك.

-هم عوقبوا بسبب الفجائع ،أما انا لي الشرف ان يكسر قلبي ونبضي وحياتي وقيامتي من اجل سلام داخلي..

عندما اقف امام الله سأقول له انني نكرت قيامتك!،سيقول لي لماذا..

سأقول عندئذ لأنني قيامتها وهي دنيتي فضعفت بارتجالي امامها حتى صرت عاشقا بمصيرية الأيام.-والآن ماذا سيصبح بنا؟ هل ستقول بأنك قدر وتمنحني الملوكية التي احلم بها..

-لا تصلحين للملوكية حتى.

-لماذا ،الست اميرتك.

-أنت قلتها ،اميرتي!!لكنك لست ملكتي.

أن تملكيني اي أن تملكيني عند شدائدي ،بضعفي، بانكساري، بركاكتي، لا أن تملكيني عندما اشتريك.!

أهل أنت الملكة والسلعة في آن واحد!،تعال أحدثك على ظهر قلب، أن الملوكية كما علمتني الطبيعة عندما كنت طفلها فأنشأتني بأن الانسان الملك هو من يملك الدنيا كلها بسماؤها وبارضها.!

"ضحكت مدى بطريقة ساخرة"

-أوهل تمتلك الدنيا والارض.!

-نعم انا املكهم، بالمبدأ الذين خلقوا عليه كما خلقنا عليه..

أهل نسيت انني ابن الطبيعة؟.

-قل لي ماهي مبادئك يا ابن الطبيعة؟.

-ان نملك انفسنا وهذا هو الملك بنفسه.

الشجر ان لم يملك نفسه وشموخه وكبريائه سوف يقطه مهما جُني منه ثمارا.

وحقول القمح وسنابلها المليئة المتواضعة تمالكت نفسها حتى تواضعت. اما باقيها فارغ شامخ.

-وهل كنت انا السنبلة الفارغة.!

-لا كنتي الذباب الموسمي الذي شنّ هجوما غير متوقع علينا.

-اهل هذا منطق الطبيعة؟

-لا انه منطق براكين الطبيعة

"عم السكوت خلسة دقائق معدودة".

-لكنني أنا ابن الطبيعة..

تعلثمت بشدائد أوقعتني على عاتق كان منجى وكان داهية لي أيضاً, أوهل من احتملته الطبيعة واحتملها وكانت مسقط رأسه, وأم شبابه, أليس بقادر على المجازفة ببحر المشقة لتنعمين ,فأنعم أنا؟.

-آدم أنا لا زلت أحبك ولكن أنت تعرفنا..

-تقصدين أعرف حواء!

-نعم وأنت العالم بضعفها, بمكرها,بحبها, بتبعيتها.

-كل شيئ أتقنه إنشغال قلبها بي..

-هي لديها أيضا قلب وليس لدرجة من القسوة التي تصدمك ليلة بعد ليلة.

-أوافقك الرأي, هي لديها قلب من ذهب, تجري فيها أنهار من المال, لا الدم, فينتصر حب على حب داخل قلبك ,فتصبحين بالوعي اللاإرادي لا تحبين آدم وتعترفين بطمع حواء, وقمعية حواء.

-أي قمعية ؟أنا أؤمن بالقدر.

-وأنا أيضا أؤمن به.

-ما تعريفك للقدر؟؟

-أتسالين ما هو القدر هو خط هيمن على الإرادة فجعل منا لا ارادیین بمحور حياتنا, خالعي ألبسة القناعة, مرتديين الزي الرسمي للمجازفة.

- كان هذا الزي قميصاً و بنطالا ؟.

-لا كنت لا املك غيرهم بهتة، ولكن زيي الرسمي هو استمراريتي بالاستنفار، بالتغيير، بمقاومة الأحزان لصنع واقع أفضل..

الملابس لا تغني ولا تشبع من أفكار، من مناهج، من ثورة انسان بعواطفه..

الذي يغني فقط هو التعجرف، والذي يشبع هو الجوع عند دوام المبادئ، حتى لو وجب علينا التهامها، لا نلتهمها، لأنها اشبعتنا حكماً لا صحة وقيمة غذائية ركيكة ستزول ببضع ساعات.

-ولكنني دنيوية.!!

-اذا انا قيامتك.

-لكنني لا اصلي ولا اقوم بسائر الواجبات الدينية.!

-لهذا الامر أنا قيامتك، فأما أن نصلي حباً بمحراب الحياة، وأما سأتقلب بين خيارين، خيار الحساب أو نكرانه.

-لكنك سوف تعاقب كما عوقب من قبلك.

-هم عوقبو بسبب الفجائع، اما أنا لي الشرف أن يكسر قلبي ونبضي وحياتي وقيامتي من أجل سلام داخلي..

عندما أقف امام الله سأقول له أنني نكرت قيامتك!،سيقول لي لماذا..

سأقول عندئذ لأنني قيامتها وهي دنيتي فضعفت بارتجالي امامها حتى صرت عاشقا بمصيرية الأيام..

-والآن ماذا سيصبح بنا؟ هل ستقول بأنك قدر وتمنحني الملوكية التي احلم بها..

-لا تصلحين للملوكية حتى.

-لماذا؟،ألست اميرتك.

-أنتي قلتها ،أميرتي!! لكنك لست ملكتي.

أن تملكيني اي أن تملكيني عند شدائدي ،بضعفي، بانكساري، بركاكتي، لا ان تملكيني عندما اشتريك.!

أهل انت الملكة والسلعة في آن واحد!؟،تعال احدثك على ظهر قلب، عن الملوكية كما علمتني الطبيعة عندما كنت طفلها فأنشأتني بأن الانسان الملك هو من يملك الدنيا كلها بسماؤها وبارضها.!

"ضحكت مدى بطريقة ساخرة"

-أوهل تمتلك الدنيا والارض.!

-نعم انا أملكهم.

بالمبدأ الذين خلقوا عليه كما خلقنا عليه..

أهل نسيت أنني ابن الطبيعة؟.

-قل لي ماهي مبادئك يا ابن الطبيعة؟.

-أن نملك انفسنا وهذا هو الملك بنفسه.

"الشجر إن لم يملك نفسه وشموخه وكبريائه سوف يُقطَع مهما جُني منه ثمارا.

وحقول القمح وسنابلها المليئة المتواضعة تمالكت نفسها حتى تواضعت. أما باقيها فارغ شامخ."

-وهل كنت أنا السنبلة الفارغة.!

-لا كنتي الذباب الموسمي الذي شنّ هجوماً غير متوقع علينا.

-أهل هذا منطق الطبيعة؟

-لا انه منطق براكين الطبيعة.

ماذا في كرويّةِ الأَرْضِ إنْ تسَطّحَت عقولُ عُمّارِها! وماذا في دَورانِها إن توقّفَ نبضُ أبنائِها وتاهَ عن قُطْبِ رَحاه! يا أَيُّها المسافرُ للقمرِ قُل لي بعد أن تمخُرَ عُبابَ السّماء كيفَ أبدو لكَ ِمن حيثُ أنت ؟ ثُمَّ قُل لي، هل ما زلتَ تراني ؟ تظُنُّ أنّ الضوءَ أسرع من الصَّوْت. لا بأسَ عليْكَ، ماذا لو تُنصِت لضوءِ صوتِيَ يناديك.

يا جُنونَ الكوكَب. لو أمكنَنِي أن أدعوكَ لنُزهةٍ -ولو صغيرة - إلى حيث لم تطَأْهُ أقدامُ "تطوّرِك" .

أعرّفك لقلوبِ عذارى نأَت بطُهْرِها عن عبثِ "تكنولوجيتك". أحدّثُك، وأبادلُك حلْماً وجُنوناً من نوعٍ آخر. مثلاً لو أمكنَنِي أن ألتقِطَ تلك التُّفاحة قبل أن تسقُط على رأسِ المسكين نيوتن، فيتوهَ في دروبِ الجَذْب. أو أمكَنَنِي كمّ فيهِ إينشتاين بعد ملاحظتِه البُعد الرابع، وأن أسدِلَ عن عينيه حجاب ما أسماه "الزمكان". لو أضرُب ذاك "القِرد" فرويد حتى يتذكّرَ ماضيه.

يا جنون الكوكب قد آلمتَنا وأرهقتَنا، فهلّا تتوقّف. ادّعيت صناعة الضوءِ وسَلَبتَنا النور. ادعيت الطبّ وفكّ طلاسم الأجساد، فأبدَعْت نشر المرضِ وقرّبتَ الأجل. نعم قد نجحت، كلّنا قرية صغيرة محتلّة. نهبت منها كنوزَ الحُبِّ ونشرت كل صنوف الغباء. ثمّ أخَذْت شيبة شيوخها غيلة. أعرف أنّك نَفْسَكَ مرهَقْ وما زلْت تكابِر. ما رأيك في

تسويةٍ أظُنّها عادلة ومربحة لك ؟ ماذا لو ترُدَّ ليَ الحُب فأُهديكَ عَرْش الحِكمةِ قبلَ أَن يَرتَدّ إليكَ طَرْفُكْ.

انتقل ادم من مرحلة الاطلاق الذاتي الى مرحلة ما وراء التضاؤل النفسي الذي بات فيه حتى صباح اول يوم من السنة الاولى الجديدة..

وعند ارتحال سنة ال99 التي كانت سنة اضطعاج استقامة مسلك عبوره ،دخل ادم مرحلة بليدة لا تمحوها لا اصوات ريح ولا طبيعة ولا حفيف شجر، اصبح بليد كبلادة المكاتب وجدران و رؤساء العواصم، لا تغريه حتى ابتسامة طفل وعاجز، كان له ثقل من الزمان علة لا تضائل ابجديتنا بوصف ما راق بنا من تسيب أدى باستمراريته الى خسارة المقصد لا القاصد

ولا القُصْدِ على حافة المقاصِد فذهب وهو مُلهمٌ،-كيف كان ذي النورين ،وهل بها أدمى..

يا مشقة الطريق كوني بردا وسلاما على من لسعته نار الحب والخذلان عند ساعتها، يا واحة المضي كوني صوتي لأسافر بين ارقام الزمان تاهٌ ومتاهة اللا معلوم عند نقصان السب وانقطاع عناصر الفيض فلا اضفاء خير ولا سبيل على ضفتي اللا موقع المزود بخبث قسوته خذلان ثم خذلان ثم خذلان أنمته أنامل ..هذه الأنامل ذي خمس في الساعة الخمس في الدقائق الخمس عند دقة القلب الخامسة في مصرع الخصم على مساند الخنس وقراءة حجب الأمس لتطمأن وتوكل الإنس.

****

أكل هذا التشابه قاب قوس الوان سجيتنا باستقامته فأطاح سوحٍ من الم فاضطعجت حتى مالت كل هذا الميلان الساذج؟ أم اننا غبار بَرَدٍ بين ضفتي الرحيل ،تساقطت منا شظايا ما أصيب من ارواحنا بعد الطلقة

الحاسمة التي كانت بمثابة سيف الساموراي ، يهدف بقوة حاسمة فيلغي ما كان وما سيكون وما سيتجزأ بنا.. أقتلتني يا حب حين أصبحت أدم بمدى؟

أم عندما اعترفت بمدى استمدادي منها منى الوصل وأقلية البعد عند التضرع والتمني ..كلنا يا حب لازلنا بغتة نناضل من اجل حياتنا ،

يا حب لا هدف لنا الا الهزيمة في حروبك، فانتصر انت انتصر ،انتصر فالقاك ،انتصر سلمت يداك وعد الينا سالمين فننجى وقانتين فنساوم على ما قُتل وما أُحيي وما لم يغني ولم يسمن من جوع، حينئذ أألهاكم التكاثر حتى ازددتم فزادت المعاقر ،فأصبحت حياتنا بدون رحمة ،لا رحم لها بسبب لا ازدواجية المنطق بين موازين وطرفي الحياة حتى لقبت بعاقر ..

****

عبرت حينها رادف الاضمحلال فصرت الهج لأخذ المطالب ،ان احبك يا انا، ومضيت على قدم وساق لأكفة الموقع، فاحتضنتني بين ثناياها عروسة تسمى شام، واخذتني بدفئها الى لاذقية القاف فصرت على قافيتها اغني فيروزاً ..لأنني دخيلها وهي موطن الاصل فأهدتني الطمأنينة حتى الخلود..

فسميت ذكراها اذا خلودا..

خلود حب ما دام قلبي ولا شهدته جوارحي..

وخلود عشق فاق مسمعي فآساه فخريّ أن ادخل على جوارحي وصلي حلب على شاطئ جبلة لتنعم دمشق بالسكينة ..حتى جاءت ملاذ لذاتنا وقالت ان اسكن في قلب لقياي واياي وذواي وقواي ويمناي وربطة سكون على من تاب بحبك واصنع من اللغب أوصاد وقل لهم بأنني ملاذ قلبك يا أنا..

فارتد الطرف ،وبات يطلق عنان مشاعره...وان سألنا لمن؟،سأختصر وأقول لوحي حبه..

-و ما هو وحي حبه؟.

-رسائل الله السماوية المكنة بحب.

-هل تتليها علي؟.

-بالطبع.

الرسالة الأولى..

فكن أنت المحترق حباً، أطلق عنان اشيائك ،انتصاراتك، وانهزاماتك، وكن انسانياً ثم بادر واصرخ بصوت مرتجل لا مترجل وقل أنا الإنسان أيا كان..

أنا صوت الصدى ،انا حبيب مهملي في الرؤى ،ومهلك محبي ومقصدي أنا..

حتى لو اجبرتك الحياة على اتخاذ خطوة ناقصة متناقضة على نحو جوهر اشياءك، افعلها كررها وكن مجنونا وانتصر بانهزامك .

****

-هل سمعتي وحي الله بإبقاء ارادتي..

-كان الله قد وجهها بصورة كونية ,لم يبذل نصف المجهود حتى يخاطبك..

-أهكذا أصبحنا؟.

-انعدمت خصائل صدقك ..قل..

-وهل تراجعت عن قرارك الذي لا زال مهدداً لنا ،لمستقبلنا ،لهمجيتنا ؟.

-أنا السكينة رغم ظلامك، أوافقك الرأي إن سُجنت أعبائي ،أو تحررت قيودي..

-قيود ماذا؟.

-قيودٌ نارية أشعلت منها نيران الحب واخمدتها ذكوريتك وانوثتي..

-والآن؟.

-لا زلنا لم ولن نبادر الا على غياهب سكينتهم لننعم في السقم.

-وهل السقم كان تراجعاً؟.

-السقم هو مبادئ..

-وهل الخلود توالى السقم.

-لم يواليه بل ارتدمه فاصبح مغادرا اناه عازفا على همجية رؤاه.

-لا اطيق الفلسفة من شخص غير طبيعي..

-أهل نسيتي بأنني ابن الطبيعة؟.

-وأنا خلود الطبيعة باحتوائها اللامحسوس المتجاذف على هواس أهل الذكر حتى صرنا وعدنا من طرائقنا الى مناهجهم.

-وهل الخلود لم تخلج منها إلا الفيضانات؟.

-إن صحرائكم قاحلة وتحتاج التروية التامة.

-وان كانت اجسادنا قاحلة وقلوبنا ارتوازية؟ .كيف ستروي وتوازني من عبق داخلنا وخارجنا؟.

-لن أستطيع أن أعبر بالوصف ولا التعديل ولا الحكاية..

-لماذا ألستِ الخلود؟.

-نعم أنا نعمة الطبيعة وأنا الحاضر والمحتوى والمستقبل السرمدي..

-ونحن أبناء الموت نموت عند محطات رحيلنا فنلغي الاستمرارية ونعلن انتصارنا على انهزامكم.

-هذه دوافع بشرية.

-وهذه أسباب طبيعية!.

-لا تغدو بحلمك في مرتجى نجاؤك..

-العياذ بالله!.

-أتعتقد بوجود الله؟.

-طبعا!!.

-ماذا تطلق عليه اسم غير الاله او الله.

-الله غني عن التسمية الله حر والأسماء قيد.

ان الله هو ذاك السامي الذي يفوض اراداتك غلى محو سقاك فتغدو بقوة سبقت ان راودت ملقاك.

ان الله هو المعبود الذي اذا عبدته بسكينتك ضجت مواقع الجيداء على بصيرة عمى الابصار وفقراء القلوب..

-أوهل تعتقدين الخلود باستدامة اجزاءه اللاوصفية المتناسية على معاتق ومذاكر محاضر البشرية لترتقي حينها عبائق ،مناشد،

وحناجر، هنا الله ان لا عزيمة الا به ولا تراجع الا ببعد المخلوق عن التوكل بعصا الخالق.

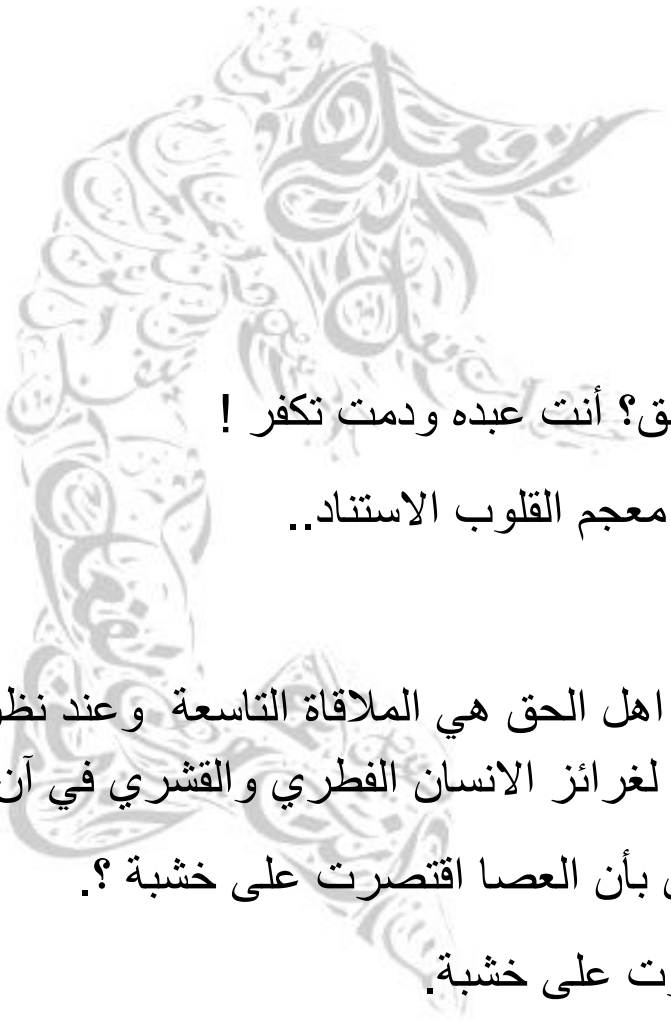

-عصا الخالق؟ أنت عبده ودمت تكفر !

-العصا في معجم القلوب الاستناد..

وفي مفهوم اهل الحق هي الملاقاة التاسعة وعند نظريات الفلاسفة هي محركة لغرائز الانسان الفطري والقشري في آن واحد..

أهل تعتقدين بأن العصا اقتصرت على خشبة ؟.

-نعم اقتصرت على خشبة.

-انظري هناك..

-اين.

-بين حاجبيك..

-نظرت ولكن لماذا؟.

-ماذا ترين؟.

-مسامات صغيرة ونبوذ مطلق الشعر.

-وتحتها..

-لا أدري اللحم والعظم.

-أهل اللحم ينبت شعرا؟.

-انها امورا علمية.

-اذا القلب من لحم لماذا نمت عليه مشاعرنا واتصلت بالكامل بالدماغ حتى صرنا بقلب وبذاكرة، ولم ينبت الله على قلوبنا شعرا ومسامات؟.

-انها طبقة جوفية..

-تقصدين عميقة.

-لا بالمقصد العلمي انها داخلية وجوفية .

-وبالمقصد الانساني؟.

-لا أدري هذه كلها تُرّهات..

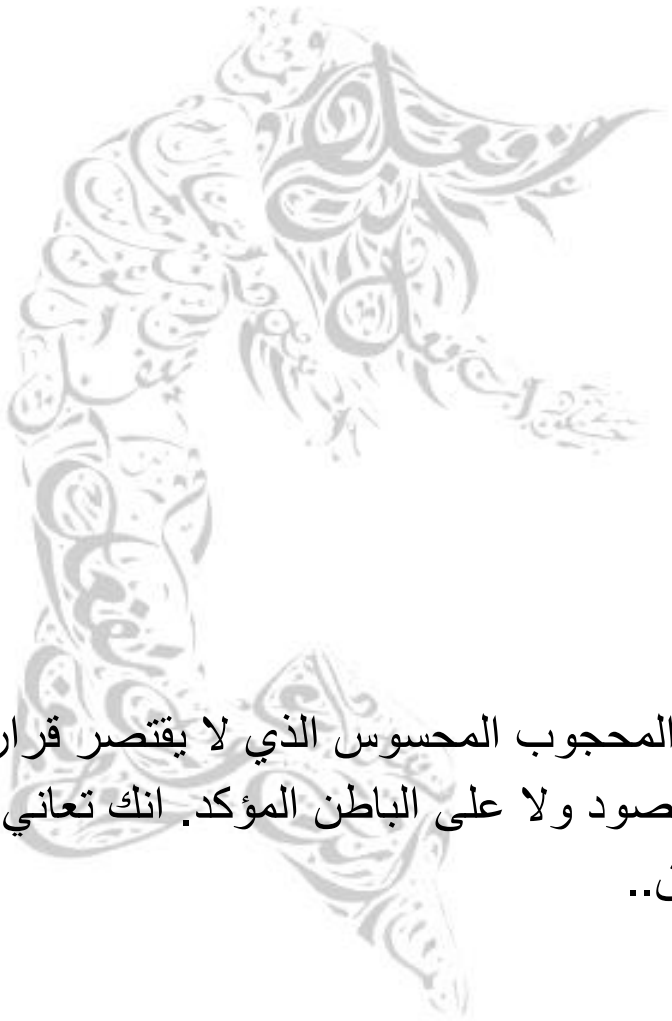

-هي الشي المحجوب المحسوس الذي لا يقتصر قرار التجاوب على التحرر المقصود ولا على الباطن المؤكد. انك تعاني الشفافية وانا اعاني العمق..

انه مبدأ الطبيعة.

لا انه مبدأ الخيبات..

-وهل العمق عمّقته خيبة؟.

-أعتقد.

-ها هي انت بدأتي بتحليل المقاصد الانسانية لا العلمية يا خلود الدنيا..

-خلود الدنيا!!..هههه خلود الكون.

-نعم ،ألا ترى بأن النبتة حين تنبت تكون جذورها ركيكة وعندما تموت تكون متجذرة في الأرض.

-ولكنني مُتّ بكرامتي واقفا رافض القرفصاء..

-إنها ذكوريتك..

-إنها كرامتي.

-الكرامة لا تنبتي على متاعب.

-تنبني على متاعب ولكن من نوع اخر متاعب التغلب على فراقنا للذة الخلود.

-سأنصت لك..

-لا تنصتي لمخلوق طين انتظري رسالة الله الي وانصتي الي فهي غدت الثالثة.

"اعتذر من محيطك ،ابواك، واصدقائك، ومحبيك، وزوجك.

عانقهم عناق الراحل لا المترحل، لتنشد صوت عشقهم عند محط الريح بين سنابل نموك على نبتة الحب او الحزن، وتذكّر أن الحياة هبتك كل همومها لذا لا تكن عقلانيا فتتربص من شدة الوهلة، وتنقبض أصوات قلبك الخائفة لتقوم بمعاكسة ما توازن وبموازنة ما عاكستها الأيام. ثم اقبض على جمرة الموازنة بين ضفتي الباطن وقف بين ارتجال نبضك وانقباضه، قاوم بروحك بينهم جميعم ، صباك، وصفواك، ولقياك، وكن بمحسوبية التغير لا الفرض بالحبر على ما اوكلت او ما غيرته الأقدار يوما فللهوى بلفهة احكام..

وان قلت كيف وما للحرب علينا بفاصل جذري سأحدثك على ارتدام صدى لهفتهم أن الحرب ما رحبت بانقلابك حتى تبرحت ولا اطاعتك حتى ولتك فصرت الرب ،كلما في الامر بانها ناشدت توازنك ،لتحذف راء الرعب من بين افكارك فتنتشلها بناشل معانق صمت احزانك فيخرج من بينهم وتينك وتستقيم مشاعرك بلا وتين ولا وتن ولا ورد ما سبق، فتتوازن على درب بلادك وتعانق رمز وطن، ووطن بأكمله، فتغير حينها معنى ومقصد، فتصبح الحرب حبا والخلوّ خلودا فخلدك الزمان بجوارحك حتى ترقص من شدة الحزن وتهدأ وتسكن عند الحب..

اتذكر عندما كنت محبا قبل سنة؟ كيف كنت ؟ ولماذا كنت؟ هل لأن هجرة القمر من سماء الشرق حتى مغرب محوره كاد أن يترك أثرا شابه الإثر فصرت جريحا أثيراً؟ أم أن ملائكة السماء قد عانقت نعش قلبك الذي شيعته السماء فأصبح سماوياً يجول بين البلاد التي تقيد دنياه، وتحرر قيامته.

-الله جعل الخلود امرا سماويا..

-لله من صمت الولع و انخدام العقول.

-رسالة سماوية ،بارتباك القلب جعلتها كونية اتخالينها نُزلت من أجلك؟.

-نعم أخالها هكذا..

-إذن قفي بيننا وناشدي صراخنا وقومي وقولي ها انا أنا الرب والباقي تراب.

-العياذ بالله.

-اعتادي وتعوذي.

-ما هو الاعتياد؟ .

-الهروب من سر مطلق.

-من اي شر سأهرب؟.

-من شرورهم .

-من هم؟.

-أنفاسك السبعة قبل سرورهم.

-تقصد الفرحة؟.

-انت سرمدية في شيئ مفصّل فقط أتعرفين ما هو؟.

-ما هو؟.

-الجهل.

-شكرا لك.

-لا شكرا على واجب.

-هل ارتحل ؟.

-عند مغادرتك مسالك الانسانية اعلني ارتحالك لنبقى في حياة وكينونة واقعية لا خرافية بانيين على تاريخنا.

-الرسالة الرابعة:

"عبدي كن انت من كنت وكن انت كما كنت لعل السماء استهوت بطبيعتها حضورك .ومنحتك من سبلها مضامر عدة لتتساوى على وفقها القلب حين يثور ،وكل شعر في مداه

محدق، وما كل شعر في مداه شعور. قف على من التهمتك من اقاصي السنين حتى بحاضرها ،فكن ذي هِمّة متزنة لا اتتك احاديث غاشيتها فتعلن قيامتك ولا لتسبح برب العلى فتعلن العلوية حتّةً.

قف هنا ،غني بلادا وخلودا ،وثق بأنه لا شريك به معبوداً، وحدّث روحيّتك بما هو مروقاً حتى يلزم الامر فتقول لهم راق، والتفت على نحوك يد وساق وقالت هل يفنى العناق ،عناق شدة فتكسر آمالنا وعناق قلوب فتتوحد بانصهارها .فتقول بأمان ها انا امتلكت الطبيعة وصهاريج السماء والليل والأغواب حتى الغابات والادغال كلها تغنت بحضورها الجياش اللا مرافق على هامش نكسة ولا موازي لضربات قلب.

مباركا لك هذا القلب ،مباركا لك هذا العناق، اعصر نبضك على مغاسل اهل القلوب ،تجلت سوائل جوارحك صبابة، فتوافت على مجمعك أنيسة نبض حتى نطقت :غيرك ان وافى فما انا ناظر اليه، وغيرك ان تمعن وان ناداني بسمع نبض فما انا سامع، واكررها ..فما انا سامع!!."

-فقدنا؟

-بالتماسنا اللامتوارث.

-وباضطهادي؟

-شجيٌّ بأناته.

هل كل شاعريتنا التي سبقتنا لازالت تهدم رؤيتنا القادمة؟.

-شاعرية ابن الأرض تختلف عن شاعرية المدى .

إن سألتني أجبتك بنغماتي وإن أقبلتي بحسن ارتدامك سأرد طرف إجابتي بسماوية الرسائل الخامسة والسادسة.

الرسالة الخامسة:

"هذه الموسيقى تكون صبابتي واسمها خلودا على وعدي، ان نطقت أعجز وكأن روحك تأبى أن تسكن حيث ينام أملي على ذاكرة القلب. أخالك تنظم صفوف المنتظرين المحبين لأحضن ابتسامتك الأخيرة وأنام عميقاً في الشوق على أن توقظني على صلاة حبنا، فنصلي قبل حركة المآذن لنعلن سلامنا واتصالنا الروحي."

-أوهل الاتصال بالبشر يقرب العبد من المعبود فيصبح عاشقا؟."

-من المفترض اننا انفصلنا، من أين لتفاصيلك هذا الحضور ؟

-ما زلتي تحاكيني وتشجني علي هجوما بجيوشاَ من الفضائل الاحرار الذين حرروا قلوبهم ونسوا انفسهم واهلكوا في سبيل الحب ،أخالك تتغير ولو مرة فتعلن انتصارك لاختيارك وتعلن التوحد الروحي الضامن المضمون على وفق واتفاق فيما تعلق على احرف وصالك ،لتأتي بقرارك الاعصار فنعلن دمارنا الشامل الكامل حتى السلام ،بسلمه وحربه.

الرسالة السادسة:

"قلي ولو خلسة كلاما ناعما بعد فراقا طوى الزمان عليه ،لا على مسامع قلبه ،وعلى انتاجية عواطفه، وعلى استمراريتها وازديادها ،قد كاد تهلكني بك ذكرياتنا البحتة ،لكن لا شأن لي بالتقويم سيدتي يطيب لي ان اضبط القلب على استرسال موافقنا ،لقائنا ،ذكرياتنا، وحبنا، وطبيعتنا، وانسانيتنا، طلقة شظية، هو ذا النبض يبايع مساوميك على ارتجاج الطلب ،ان كنت حبيبتي واستمراريتي وظلي الي فنائنا ..فلتمضي الأعوام ،فعمري هو أنت.."

-

-انت سرمدية في شيئ مفصّل فقط أتعرفين ماهو؟.

-ماهو؟.

-الجهل.

-شكرا لك.

-لا شكرا على واجب.

-هل ارتحل ؟.

-عند مغادرتك مسالك الانسانية اعلني ارتحالك لنبقى في حياة وكينونة واقعية لا خرافية بانيين على تاريخنا "المثل الخرافي"كمن بناه غيرك..

-أهكذا اصبحنا؟.

-لم نصبح، إنتهينا.

-ستغادرني يا ابن الارض.

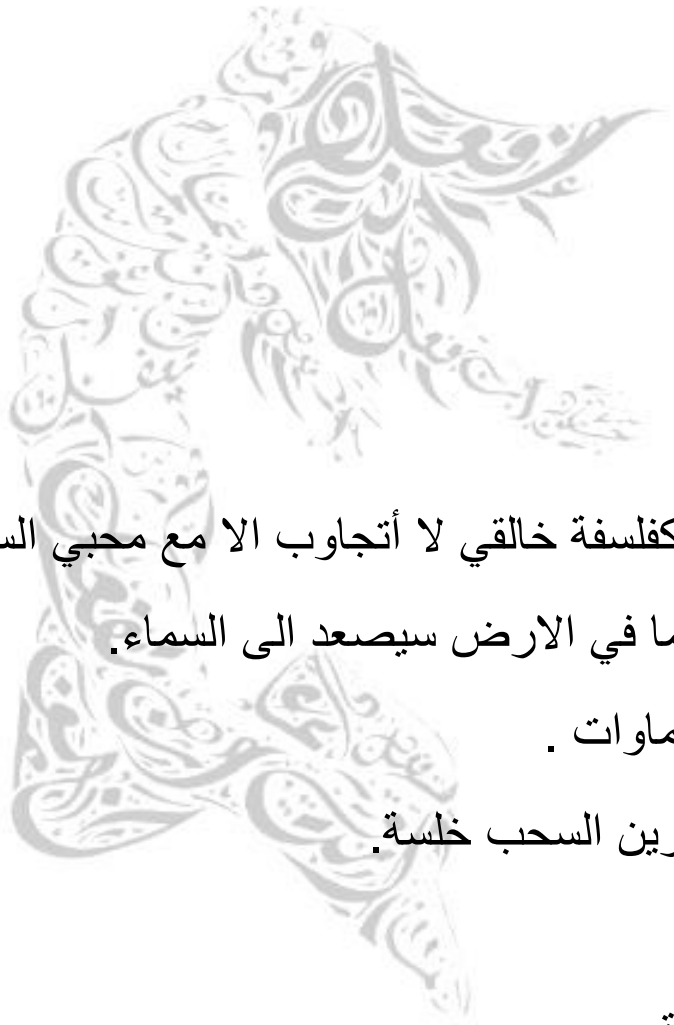

-انا فلسفي كفلسفة خالقي لا أتجاوب الا مع محبي السماء.

-ولكن كل ما في الارض سيصعد الى السماء.

-هناك 7 سماوات .

أنت لن تعبرين السحب خلسة.

-تناقص ؟.

-تناقد وبشدة.

-تناقد بدلالة الحاضر؟

-لا بمضي المدلول.

-بإلهامك؟

-بإلهامي.

-صفي لي إلهامك لي.

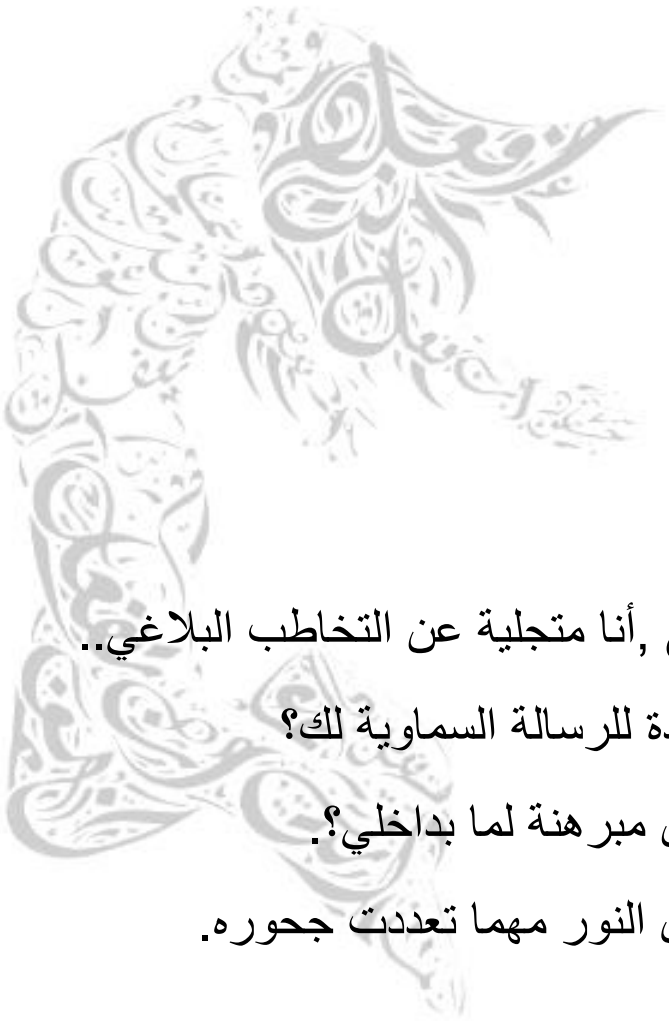

-لن أستطيع ,أنا متجلية عن التخاطب البلاغي..

-أهل مستعدة للرسالة السماوية لك؟

-هل ستكون مبرهنة لما بداخلي؟.

-انها توازي النور مهما تعددت جحوره.

الرسالة السماوية السابعة:

"يا ملهمي لماذا اخفق الحب الهامك؟،لطالما على وقع سجيتك اختطفت اهاتك وأُزيلت ارقام محسوبيتك التي كانت تحترق وتضيئ ظلام وجهك الثاني فتختفي انت ويضيئ يأس وعند ضياء يأسك تخلد مشاعر الحرق حيا بين احياء واموات ،احياء حب اللهم بلغناه، واموات عشق اللهم اعذنا..

فكن انت المحترق حبا ،اطلق عنان اشيائك ،انتصاراتك ،وانهزاماتك ،وكن انسانياً ثم بادر واصرخ بصوت مرتجل لا مترجل وقل أنا الإنسان أيا كان..

أنا صوت الصدى، أنا حبيب مهملي في الرؤى ،ومهلك محبي ومقصدي أنا..

حتى لو اجبرتك الحياة على اتخاذ خطوة ناقصة متناقضة على نحو جوهر اشياءك ،افعلها كررها وكن مجنوناً وانتصر بانهزامك. "

"

ها هي أنتي ،تصبرين على ادم مهما عصفت من رياح ،تصبرين على شقاه ومكره و أنانيته ، في حين بأنك عشقت أنانيته..

عشقت أناه الأعلى محيتي الهو من تصنيف نفسه ، فصرت ملآنة لأناه وفاقدة لوجوج الهو عندك وعند ارتماسيته ،أتودين بقاءه بصراع **!!؟**.

اطرقي مصاعبه وحواسه السادسة ،هو هاجس و متهجرس كادت به الأيام أن تسميه هجرس لولا رسمته المتكررة وابتسامته المزيفة ..وملامحه المبطنة اللا معلن عنها فتوصف ولا المتكلم بها فتهمش.."

-إن هذه الرسالة اخالها رسالة بليلة قدر..

-لماذا.!

-لأنها وصفتني وواستني وهمشتك.

-همشتني؟.

-أجل.

-بتأكد وإصرار.!

-بارتحال القمر

-برحيله.!

-أجل.

-باكتماليته.

-بعضه بعض لبعض وبعضه بعض لآخر.

-أخالك تبالغين.

-أوصف بشدة.

-شدة الحزن ام شجة البكاء.

-شدة الثقة.

-وهل الثقة لازمتها شدة.

-غيرتها حركات النحو فرفعتها بعد ان كنت قد كسرتها.

-انظري هناك.

-لا تعني لي السماء شي .

-أنت خلودها.!!

-وإن!. أحتاج إلى تغيير.

-تغيير ماذا؟.!

-في الطبيعة.

سيأتي الشتاء.

-أخالك فهمت مقصدي الصامت الناطق.

-أجل سيأتي الشتاء.

-لكنني أقصد تغيراً في الطبيعة، وارتحالي الى الطبيعة البشرية.

-وأنا اقصد بأن العواصف اقتربت..

-هل تساءلت يوماً عن مدى حبي لك؟.

-بقدر كل السماوات.

-وأكثر.

-بقدر ماذا؟.

-بقدر أنانيتك .

-تقصدين بقدر مزاجيتك.

-هل ستطلق عليها سماجة؟.

-لا ، الإزدواجية مهمة.

-والأهم تفردي بهذه الازدواجية.

-على كل الكواهل؟.

-على هيكليتها المتناقضة..

-المتشابهة؟.

-المتنافرة.

-ما كل هذه الاصوات التي تصخب بنا، هل غيرتنا الحياة ؟.

-لا أظن انها طبائع البشر وتفاعل الطبيعة معها وعقابها عليها.

-لا اعتقد فالطبيعة حنونة.

-والبشرية حياة. والإنسان أيا كان لم ولن يلتمس الحقد في فطرته الا بفعل انقلاب الطبيعة.

-تقصد بأنني جامعة الطبيعة البشرية والعملية.

-نعم ،والدينية.

-لا تنسى بأنني خلود قيامتك.

-لا للقيامة خلود.

-إن ربي سيدلني وينصحني بإشاراته.

-اشارات ماذا؟.

-إشارات الحب والدعم المتواصل.

-هل يدعم الله المنقطعين عن ذكره.

-يدعم القلوب الصادقة لا القارئة بأبجدية صامتة عنها القلوب وجاعلة على ملتقاها ان تفقهه وفي حينها وقرا.

-سأنصت حتى نهاية المسير بدفء قلب ورنين العشور.

-على ما يبدو قلب المسير.

-مسير ماذا.!

-مسيرنا السرمدي.

-سرمدي؟.

-اجل.!

-لا استهوي الجدل ،احب النصائح والتوبيخ.

-ما مناسبة هذا الكلام؟.

-انه جنون.

-كجنون الطبيعة؟.

-كسيلان مغرق.

-ككنيسة مهجورة.

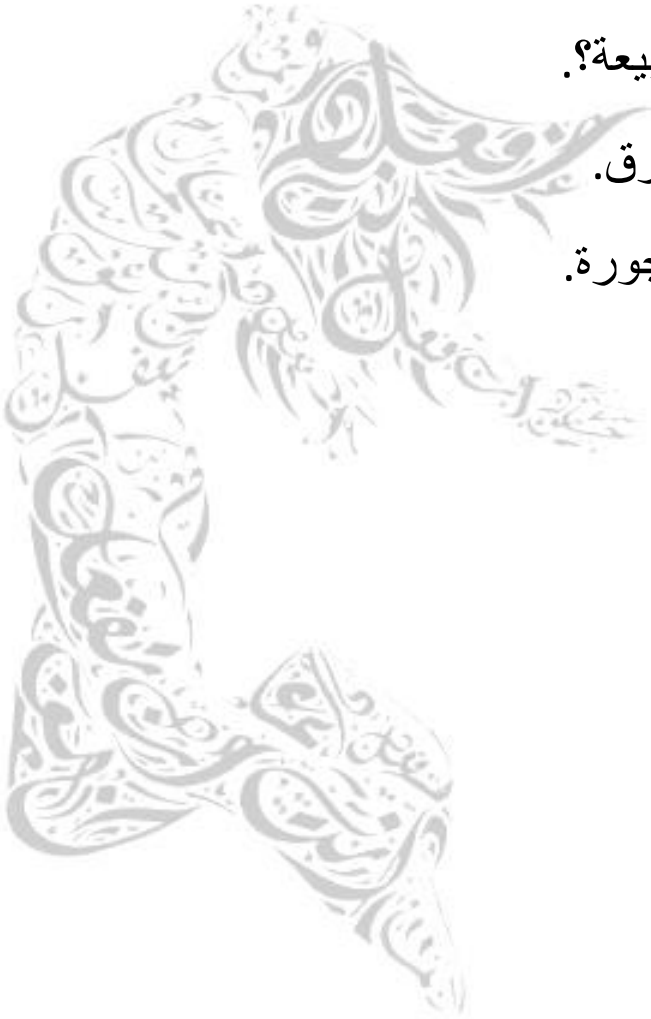

-لا اخال ان الملل صاحبي.

-ولا اعتقد بان الجنون جليسك.

-هل لأنني اتابع قوتي بكثرة.!

-لا لأنك اسرفتها وأصبحت تستنزفين القدرة.

-انني قوية بتجدد الكون.

-ستأتي قيامته.

-كل شيء سيأتي قيامته.

-أنا في طبيعتي مخلد.

-بشري ومخلد.!

-ان ربي وحافظ قلبي الله والله لم يخلق الكون قبل الحب لذا انا مخلد.

-اتصور بانك هممت علينا بسجية مهندة ،فاطلقتها على الكون حتى اتمت اطرافها تبادلنا ابجديتها بحديث مغلق لم ينتابنا شعور مداه على معاتق الخيبة الازلية فكنت التماس وكنت انا الصدى.

-الصدى.!

-أجل.!

-ما تعريفك للصدى؟.!

-إنه انعكاس الصوت .وأنت كيف تُعرِّف الصدى !؟ .

-إنه انعكاس حاق ذواتنا في غياهب الحجب وارتحال ما هو ميسر على منازل الحجب والسعي ما بين البغي و الخضوغ على كاهل امر لم ترتدمه أشلاء، فتراكمت على وقعها قشرية وطلاء حتى وصلت بلزوجتها الى مغمس أغداق فكل من علقت به التصقت حتى صار محو غناء، فسمعتها آذانهم وكان الصدى بوفقها اشبه بالتعلق والعذابُ.

-انه تعريف يمثلك.

-ويخبر بأمر مختلف.

-عن ماذا؟.

-عنك بالتحديد.

-لا اعتقد ما عنيت بأمره.

-بل استوحش ما حييت لأجله.

-كل هذا كان بنا؟.

-حتى قضينا في الفنا.

-رد عميق متوازي القافية.

-على وفق التماس المعمق.

-تقصد على وفق تقار القلوب وسماعها التخمينات.

-التوقعات تقصدين؟.

-التوقع.

-على كل حال هي اشبه بذلك.

-اذن اطلقي لي عنان الحب لأرجع اليك.

-لن تستطيع به سعيا.

-وان توافقنا؟.

-سنعلن ماضينا ومستقبلنا.

-إنهما شيئان قد تعلقا بحاضرنا.

-ستتحقق الاشياء بتأكيد على الموافقة.

-سنعلن حبنا.

-ستكمن الحكاية.

-لن تكمن الا بالاستماع الى الرسالة السماوية المصيرية فان كانت لا سوف اختفي من حياتك واعطيك حق طبيعتك البشرية لتعاقب اشد العقاب بين سنواتك مضيا بين الهروب والتعلق بذكراي المعجلة المكررة المتوازية على خط المسامحة المجاهدة حق الجهاد

على الانتقام منك ببث عقوبة التفكير بك حتى تتعرف على لذة الحب وقسوة فقدانه حتى وان كنت تلهث بين احضان النساء على وسائد حريرية قرمزية اللون سوداء الجوهر .حتى وان كنت تغازل فتاة فتمر نسمة لا تلتزم بتنوع الفصول فتهجر لذة الموقف وتضيع هجرا لواصلي لك..

حتى وان كنت ماشيا بخطى ملكية، بطقم فخم على مراسم زفافك ،عندما يقول لك قدم الوكالة ستتذكر ولاؤك لي، أن اتت رسالة الله

وخذلتني ستتذكر قسوتي وخذلاني لك لا انخذالي تحت طياتك، فمهما تهافتت الاحزان انا الخلود وان ادم.

نظر ادم الى خلود نظرة صامتة ،عم الصمت لدقائق وجيزة وقال:

-الله هو رب المصير ورب العباد انا اؤمن بمصيرنا المستقبلي المعاصر بنا الآن.

-وانا اؤمن

لنجهز ابصارنا ،مسامعنا، ولنطلق حواسنا ،لنقرر في المنى ما مُنّ علينا.

-ستأتي.

-بتسبيح معجب مكرر.

الرسالة الثامنة:

"عبدي ،لقد سمعت ان من في الارض قد ذموا بك ومدحوا فيك حق الثناء، وكما تيقن بان توسع المدى عند افلاك الارتجاج اللا متقارب هو اقرب من اناك ونفسك. لكن الثناء حق، والحب حق، والفضيلة من شيم اهل الحب بحق اعترافهم بالغلط المبطن بين محاجهم ليسعوا

بإصلاحها في الحكاية ،حتى وان آنست نفسك ومستقبلك ووقتك ،وإن كنت متناقضا ليلاً..

مالم يغنى في هذا الصباح فلن يغني ،استسلم لنا يا فيض الدمع لنخوض حرب المحبين فنُخَلّد.

أتظن بأن طبعك البشري ستتقبله خلود؟ ، إبنة السماء والكون وعبدتي الأنانية؟. أتعتقد بأن بموسعها النظر بين طيات الزمان المؤقت الذي يشهد فقط على تواجدك فيه لا على استمراريتك لتواسيك عن خيباتك بينما هي ستكون تمدح اناس في فصل اخر من زمان هذا الكون؟.

أتخال الظاهرية وتواجدها بينما انت شاعري بانطلاقتك غير مدرك لتوازيك بين عقباتك ومعاليك و مبادراتك الحرة المتمردة على ما صنفته اناك ؟.

أتعتقد بان بإمكانها أن تتوارث عنك قبيح الصفات فتتذكرها فتقع في حبك بعمق اكثر؟

لا أعتقد بأن هذا النصيب سينصب بين عينيك دموع حزن طيلة ايام ،سيجاملك حتى ينتهي موسم القطاف فتقطف قلبك مع ثمار ذوات الطبيعة وتبقي لك الذاكرة المهجورة.

سأضع نصيبكما بورقة بيضاء وأضع فيك اشارة السالب واضع بخلود اشارة الموجب إن التقيتما فسوف تلتقطا هذه الورقة التي كتبت عليها "هنا نحن واننا هنا". وإن تلاقيتم دون ان تلتقيا فستصبح هذه الحادثة عنوان على دفتر النكسة المبطنة."

-ادم لقد قررت السماء وعلى المخلوق ان ينصف.

-وما حال القلب الذي من خلق الخالق.

-سيطيع الخالق.

-اين تلاقينا؟.

-لا اذكر.

-اذا كيف سننتهي ان لم نلتقي.

-أخاف بأن نكون لم نلتقي بعد ،وأن نتوارث صفات مكوثنا فلا نلتقي مجدداً فيعمّ الضياع ونصبح أبناء الذاكرة.

-أنا استأذن من حياتك ماعدا قلبك ،لن اغادره ولن يغادرني ،سأطيل به بغير محو ارادتي ،غضي طرفك عن تواجدي ،وانا سأعلن تمعني بك.

-أعلنته من هذه اللحظة ،اللحظة السوداء الشعواء التي أقيمت عليك.

-سامحيني إنه القدر.

-بقدر اقدارنا ابتعد

عاش ادم في ظل السنين بصدمة جماء عصية الانكسار في آه نفسه ،لا تتدارك حسه ولا الخروف عن مألوف مساوئ لحظاته وتدارك اخطاءه بعناية وقسمة .

تخطى المألوف فأصبح بأناه لم يستدرك الا ما حصل من منظوره لحياة خلدت عندها اعاصير وسمجية تواست بها الاحضان واللحظات الفارقة بين زمان الصدمة وزمان تلازم المهنة

فخلع عن عاتقه رداء صدماته الذي لم يعد يلازمه بمجيئ فصل آخر لا يتناسب مع رداءه المستجد..

****

إنه فصل الراحة والتركيز في الحياة المهنية والمستقبلية وفي الحياة الدراسية المختلفة المتضاربة المتنوعة التي لم تحمل الا كل ما هو جميل له ،كل ما هو منسي ،كل ما هو ملازم لحاله ولنفسه ولأثر نفسه المتردد.

بعد سنة:

"دخول يسرا إلى حياة آدم"

بين أيام هذا الفصل كان هناك حفل في عاصفة زمنية جمعة بين قدر ومناسبة ودخول قوة على ركاكة قلبه فتلعن تشبثها به حتى تتم الوكالة الشرعية فيصبحا بما احلهم الشرع..

بينما كان آدم في حفل يلقي كلمته ،على مشارف الحفل كان قد القى بعد التحايا المخبأة بين ارتفاع حاجبيه لدقائق وتوسع بؤبؤ عيونه بضعة دقائق معدودة مع ارتسام ابتسامة طفولية.

انتهى من الحفل فأسرع الى التعارف إليها خلال بضعة أسابيع ،وكما تيقن بحالها وبظروفها وبشفافيتها حتى مرت من خلال مرور الكرام فتعمقت جوفه بين طيات غرائزه ،بات الطلب منها بإشعال غرائزه المخبأة التي اصبحت سبيلا في إثبات قوتها المعنفة الجريئة ،فلم ترى مخلوقا حتى عنفته بما عنفت به بسابق مضيها بمسير حياتها.

ارتسمت عنده حديثا ومبسما!،وجعلت منه قوة مبطنة تتفجر عند اكتمان الأمان بين محاضن رجل فتعلن العنف اللامعروف من أين ارتكاز قوته ولا من اين تشققها وانبعاثها، متى تخمد وأين تثور وأين يتوارى دفنها بعد مماته إن ماتت.

كان آدم عند تلك الدقائق الزمنية لا يستذكر من نفسه الا ما خلق الله فيه من شهوة، خشية ابلاق واغداق عن أنس هذه اللحظات وخوفا آخرا من خسارتها التي ستجلب تقليب الكفوف على ما خسر .فقبل عرضها وهو الاتيان بالوكالة الشرعية التي احاط نفسه ورجوليته وعقيدته بها عند التجارب الاولى بمسير الشهوة الصادقة.

قال لها بهشاشة قلب أتقبلين الوكالة ..فأجابته بلهفة ..نعم.

بعد ان اعلن الزواج الرسمي السري بينهما الشاهد على امره 4 شهود، أصدقاء الجامعة ورب ناظر .

كان آدم متلبكا حائرا بملاذ ما سيحدث وبخطر ما سيحدث ..هل سيحبها بجنون؟ هل سيقول لها بانها اكثر امرأة جميلة قابلها في الفراش أم أول امرأة اعتلت منصب الخفقان الكامل الا متناهي، هل سيحدث ان تتوارى دقات قلبه وتصبح باسمها ،فتغنى يسرا عند العناق ويُسرا حلو المذاق ومسير يُسرٍ قد ارتوت بعروقه الاصفاد حتى لم يعتلي جنبا الى جنب ما كان وما اليه راق ..

-أأهملتنا؟

-قالت له واليه أعاقبتنا؟..

-فغض الطرف وارتحل بفروسيته ورجوليته المطلقة يطلق ما أباح له مبدأ العقيدة بالإباح، خلع هاجز قلبه، حتى اصبح عاريا بمشاعره خاضعا خضوع الجاهل لعالم الجدران الاربعة الظلماء التي كانت اميرتهم امرأة.

بات يقربها قربة الملهوف الى عبق حبيبه، المتخلي عن نفسه المؤتمن على قدرته. تلك القدرة التي استلمت لها هواجس الرجل بفضل امرأة دمرت هذه العواقب بوقع يديها وقدراتها العنيفة الهائجة الثائرة بوحشية مؤنثة محبة على جسد لم يذق ذاك العنف.

قضى نصف ساعة واكثر من لذة ما بارحت منه لا نصف هنيهة ولا عبق ثائر ،ذكرةٌ موقعةٌ جاهزة غنته واسمنته من جوع تمرده على حاجات نفسه

...

-وصباحي بك قد اختلف عن باقي الصباحات ،فهو صباح أفعم بفضلك بالسلام لا الفوضى المطلقة

-شكرا لك على هذه الملاحظة ،استهواني حديثك الصريح المستهوي الابعاد المقزز.

-لكنني لم اقصد خلسة ازعاج لك.

-هل تسخر من محضر البساطة؟.

-لا اعرفها فانا بكاملي قوة مبطنة متناهية .عرفيني عن البساطة لعلي بخبراتك التي ما عرفت تواصلا وتكاملا اكتمل.

- إن قصصك جميلة جدا.

-إنها ليست موسوعة كليلى ودمنة انها محور سردي الخاص.

****

-ما سر تعمقك بالوصف.

-الإنخذال.

-وهل انقلب الإنخذال الى حب؟.

-وهل تعرف ما هو الحب.

-لا يستهويني التحدث ،انا كلي بك سمعا واصغاء.

-الحب ليس مجرد علاقة تربطك بشخص آخر،

-ان قصصك رائعة، لماذا عنفتك الدنيا بهذا الحجم؟.!

-حتى اجيد التعبير في الفراش حتى اصل بسماجتي الى هنا..

-لكنك لستي مجرد جسد.!

-وهذه هي نصيحتي لك، مادامت خسارتي في دنياكم الفانية جسدا وعذرية انثى سأقدم لك نصيحة كإنسان اقتادت على مسمعه ذم أطنانه بلفظ الأقمع من أفواه الناس المتخبطين بمبادئهم ,النمطيين باختلاس وصف المقروء بعين ظاهره لا بما يبطن من أفكار ومعتقدات متجلية وراء جدار الإنسانية في ظل وضوح وجهور الأنوثة أمام مجتمعها ..حتى لقبت بعنوان اجتماعي "شاذة", وبعنوان قانوني "أنثى لم تبلغ الثامنة عشر"

-لكنها بلغت السن العقلي.

-تقاعدت بروحها .

-لاتزال حاضنة للمرح.

-من يدري؟

من يدري اغاثة الملهوف لوقع المتردي شذوذا فعليا خرجت عنه اناة الباطل واستوطن حق الحاجة؟، ومن ينال ما البسته الراحة جنون موكبها حتى استمتع بدقيق ترادمه..

أنا يا آدم.. وصلت الى العشرين من عمري بتابوت قد شيعت به في الخامسة عشر من عمري وما زلت امضي ميتة أحيى بلمس التراب الذي ألجمه الخالق من طين.. إن سألتني لم؟ ألقيت عليك إجابتي بمقربة منك، لا بكلام إليك.. فنصف ما قد قادني الى الظلام كلام.. ونصف الذي ألهج روحي وجردها كلام..

-أهل تخالني سأقول لك سري..؟

-ولم لما؟.

-إن السر الذي يعرفه اثنين ليس ب سر بل باتفاقية ثقة ما ان تيقنت عنها رهنتها برهان قوة تفكيرك.. وما ان تيقنت بها رهنتك الى مداها لتعتلي قواك عليها..

وأنا سأتيقن عن يقيني بتعرية افكاري امامك لأضاهي مبتغى التناثر نحو صباية شعرك.

وإن آنست ذكري بموئدة الرحمة، فرحمتي وسعت شرقية تفكيرم واقتماصات اتهامات أفكارك نحوي..

-ولكني لم أظن بك ظن السوء.!!

-ولكنك شككت بي..

أتخال أن الشك أرحم من الظن!!

-وما الفرق بينهما؟.

-إن الشك هو مفتاح التأني باليقين للوصول الى حقيقة الترادف المبطن على هاجز العمق.

ما إن سلمنا جوارحنا لمحكمته حتى تلقينا ضفعة الخذلان والتوسوس،وما ان بعدنا عنه بتوازن مبطن حتى أنصفنا مبتغى السعي المدلول..

-أنتي اليوم أصبحتي زوجتي.. لذا سأبقى معك متقبلاً كل شيئ، متناسيا ما جرى.. ولكن كل ما أريده هو ان تتغيري نحوي لا نحو مخاوفك..

-وهل أنت موضع الطمأنينة .

-سأحاول من أجلك أن أكون .

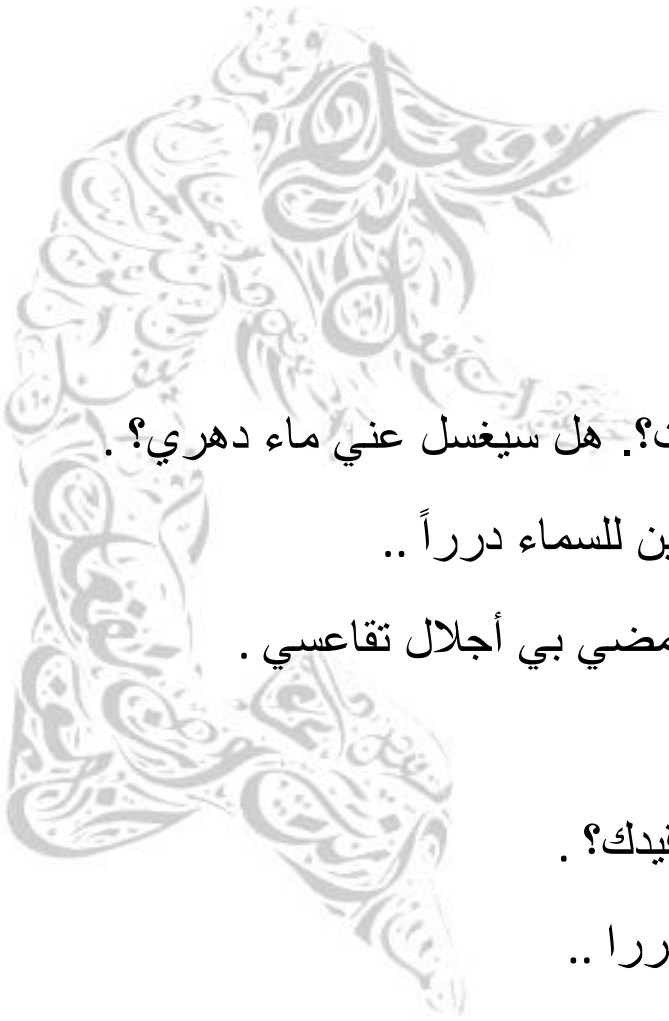

-وإن تغيرت؟. هل سيغسل عني ماء دهري؟ .

-لا ستمطرين للسماء درراً ..

-لا أخالك تمضي بي أجلال تقاعسي .

-أخال .

-وان اشتد قيدك؟ .

-جللتكِ متحررا ..

بعد أن بلغا مبتغى الرضي والتوافق بتجلي رحمة الحب بسمع القلب لا قلب مسمعه، بقي آدم معها بزواج سري ضمن فترة دراسته بتوافق

معها وبدعم منها ليستمر بنيل التقدم المهني والتفوق الجامعي وما ان اقدمت عليه مشارف الانتهاء من الجامعة انسحبت يسرا من حياته في يوم تخرجه ..

٥-٦-٢٠٠١.

الساعة الخامسة عصراً .

بعد أن قبل آدم يسرا وهو في مقتبل ذهابه إلى التخرج هادياً لها فستاناً أحمر مطابقاً للون "گرافته"، متعززاً بذاته مقبلا على اللا أحد.. خرج من شقته القريبة من الجامعة ليصل إلى تدريب مقتبل التخرج، متواصفا بقدر أناه ، متمسكا بالأمل،أمل مستقبله بيسرا وسعادة قراره بإعلان زواجه منها لرفاقة وللعلن .

-بعد رحيل آدم جمعت يسرا قرارها موضبة جميع ثيابها، والقرار القرار لمن سوّل لها محطة ارتحالها عن ريعان زواجها.. هاجرة

بنكرة مفاضل آدم،فجمعت كل أغراضها وخرجت من المنزل تاركة لآدم التساؤلات"

الساعة ال٠٥:٣٠عصراً.

انهى آدم تدريبه وحان وقت انتصاراته الكبرى، بدقة قلب أوصلت اللازورد بإكليل التمادي، وجعلت من أمله رؤية آمال الدنيا متمثلة في لهفة ثم لحظة.. متحمّسا بحجم تعبه وشقاه.. أخيرا مداه وصل إلى المدى الحقيقي..

متصلاً بهاتفه القديم ب يسرا، الذي لم يسمع منه صوتها آخذا محمل الخذلان والباطل عليه ..

متواعدا بأمله ،ومتجاوز كل مشاعر السلب عند دقيقة الاحتواء .

متصلاً بها مرة أخرى.. لا جواب بصوتها إلا بصوت الهاتف الذي كان بتخالي النقطتين على سمع الدمع..

بقي آدم منتظراً أمله أن يطل بفستان أحمر على يسار المدخل ليبلغ دقة ملك يسراه النابض ليسرا، حتى بقيت حركة النبض ساكنة برجفة الحدس المستتب على صواب الظن ..

واقفاً بين الخريجين ب "گرافاته" الحمراء، ما ان تحول من طالب الى خريج ببصمة الصوت المنادى إليه حتى ارتجف فرحا وخوفاً من انتقاله وحيدا إلى نقطة تحوله ومصيرية أيامه ..

أهل سيستلم الشهادة المتجلي بها بخبرته كما سيستمر بحياته بعد تلك اللحظة "وحيدا" لا يشارك اللحظة إلا مشاعره؟ أم سيلتفت إلى يساره ويستيقظ من الكابوس ليرى يسرا مصفقة له بأحمر قوامها؟.

من بعد أن انتهى الحفل ولم يأتي أحد، خرج آدم بسرعة من الحفل متوجها إلى شقته المتواضعة، أظهر المفتاح من جيبه ويداه ترتجف حتى فتح الباب ليصطدم بخلو البيت من يسرا وأثرها ..

تاركة له ورقة كتبت عليها

"الرسالة المخلدة:

ما دمت يسراك.. تجلّى عني بدلائل هروبي..."

إلى اللقاء بالجزء الثاني من رواية مدى آدم .

كانت هي على الاتيان المتيقن ببادئ أمرها,وقبلت هذا االعرض الذي جمع